بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أتحدث بمناسبة قرب ميلاد الحجة (عج)[1] وأذكركم بما تعرفونه، فنحن بحاجة إلى تذكير وإذا ذُكّرنا بما هو مرتبط بالدين يُفترض بأننا نعرفه

الإنسان يعيش عالمين: عالما فعليا واقعيا، وعالما موجودا في تصوره، فهو بجسده يعيش في هذا العالم الواقعي الموجود لكن بروحه ونفسه وتطلعاته يعيش في ذلك العالم الذي يتخيّله ويرغب فيه، وهذا مما يميّز الإنسان عن الحيوان، فالحيوان فقط يعيش هذا العالم الذي هو يمارسه ولا يوجد في باله عالم أفضل منه يتمناه ويرغب فيه، ولكن الإنسان يستطيع أن يرغب في شيء غير متوفر له فعلا ويتمنى وضعا وعالما آخر، الله عز وجل جعل هذه الخصوصية في الإنسان لا عبثا لأن الله حكيم فهو شرع شريعة لهداية أي خصلة وخصوصية مخلوقة في الإنسان، الله خلق الإنسان بخصال معينة ولم يهملها بل هداها

باختصار شديد الدين هكذا يقول: أيها الإنسان أولا اعرف أنك تعيش عالمين، عالما تعيشه بالواقع وبجسدك، وعالما آخر تتمناه وترغب فيه، فأنت كإنسان تستطيع –في داخل نفسك– أن تصنع العالم الذي تحبه وترغب فيه، انتبه فهذه الأمنية هي التي بها تُحاسَب، الإنسان لا يُحاسَب على ما لا يملكه، نفترض شخصا معوقا لا يستطيع أن يقوم بكثير من الأعمال لكن هو عاقل ويتمنى يا ليته يفعل أمورا لينصر بها الدين، فهو حينما يُحشر فإنه يُحشر مع هؤلاء الذين تمنوا نصرة الدين واستطاعوا أن يحققوه، لأن تحقيق الشيء في الخارج ليس بيد الإنسان وإنما سعي الإنسان يكون بيده، إذا كان التمنّي صادقا فإنه سيدفع الإنسان نحو السعي للعمل

انتبه أنت قيمتك فيما ترغب فيه وتحبه وأنك تُقيَّم وتحاسب على هذا الأساس، فأنت برغبتك تُحشر مع من تشاء، وتستطيع أن تُحشر مع الأنبياء (ع) ومع الأئمة (ع)، الإنسان المؤمن يعمل أعمالا ولكن هذه الأعمال لا يُحبها وهو مضطر أن يفعلها تقية وتنسيقا مع الوضع القائم، فهو لا يُحاسَب على هذا الذي يفعله بل يُحاسَب على ما كان يرغب فيه، يحاسب على حبه وبغضه، في رواية عن شخص يقول (سألت أبا عبد الله (ع) عن

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ٧ شعبان ١٤٢٧، وقد تطوّع بعض الأشخاص لطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

الحب والبغض أمن الإيمان هو؟ فقال: وهل الإيمان إلا الحب والبغض)[٢] فالحب والبغض هو دينه، ماذا تُحب وماذا تُبغض؟ هذه مقدمة

الأديان السماوية كلها تدعو إلى عبادة الله عز وجل وحده وعدم الشرك به، ودعوة رسول الله (ص) مرتكزة على هذا، فالجهاد المرير الذي قام به الأئمة (ع) طوال قرنين ونصف من الزمان كان لبيان أن العبادة الحقيقية لا تكون إلا بالإمامة، الإمامة معناها –باختصار شديد– أن عبادة الله عز وجل والتقرب الحقيقي إليه لا يتحقق إلا بإمامة الأئمة (ع)، مثلا الصلاة التي تبدأ بالتكبيرة (الله أكبر) هذا التكبير لا يتحقق ولا يتجسد في الواقع إلا بإمامة مهتدية وإلا كان تكبيرا لفظيا فقط

الأئمة (ع) كانوا قد بينوا بجهادهم وبمعاناة شديدة أن عبادة الله عز وجل كيف تتحقق، وما هو دور الإمامة بذلك؟ ما هي دعوتهم؟[٣] دعوتهم قد تبينت خلال قرنين ونصف من الزمان إلى وفاة الإمام الحسن العسكري (ع)، هنا أي إنسان عاقل يعيش فطرته ويتطلع إلى عالم أفضل يستطيع أن يجد في دعوة الأئمة (ع) –وهي دعوة النبي (ص) والأنبياء كلهم– يجد في هذه الدعوة العالم الأفضل، ونستطيع أن نعرف العالم الأفضل بما خلق الله عز وجل في نفوسنا من تطلعات فطرية، يعني أن فطرتنا تنجذب إلى أن هذا العالم الذي تجسد وتبين من خلال دعوتهم (ع) فنطلبه ونرغب فيه إلا أن تكون نفوسنا قد ضلت وانحرفت والعياذ بالله، نحن بيّنا هذا كثيرا في أوقات سابقة، وإن شاء الله سوف نبيّن كيف يستطيع الإنسان أن يعرف الحق، ويستطيع أن يعرف بفطرته ذلك العالم الذي نتحدث عنه

فمن خلال ذلك الجهاد المرير المليء بآلام الأئمة (ع) تبيّنت المعالم الرئيسية لهذا العالم الذي سوف يتحقق، بحيث يستطيع أن يعرفه كل إنسان يعيش فطرته ويرغب في أن يكون عبدا لله وحده، وسيجد فيه ما يرغب إليه بفطرته، ويُفترض أن الإنسان الإمامي ينتظر هذا العالم ويعيشه الآن داخل نفسه وينتظر تحققه بقيام الإمام (عج)

بطبيعة الحال هذا بحاجة إلى بذل جهد لأن هنالك كثيرا من التشويه الذي أصاب الدين، لكن مع ذلك سوف يجد الإنسان هذا العالم ويستطيع أن يرغب فيه، فهنا هذه الرغبة في مقابل رغبة أخرى مضادة مبنية على الشهوات وهي منتشرة جدا، ولكل رغبة منهما إمامة مختلفة، الرغبة إلى عبادة الله عز وجل عبادة حقيقية يعني

---

[٢] الكافي (١٢٥/٢)

[٣] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت (٤) مذكرات في الإمامة** فصل **(ما هي دعوتهم؟)**

أن الإنسان يكون عبدا لله وحده من دون أن يشرك به شيئا أو أحدا، هذا نجدٌ وطريق تقوده إمامة مهتدية وتهدي تلك الرغبات الإنسانية في مقابل نجدٍ وطريق آخر مضاد تقوده إمامة ضالة

أذكر بعض الأمثلة الواقعية، يُنقل أن شخصا قال رأيت بعض الأعراب قال: اللهم أمتني ميتة أبي! -هذه رغبة، الموت قضية مستقبلية فهو يتصور الموت بشكل معين ويحب أن يموت بهذه الطريقة- **قال: وكيف مات أبوك؟ قال: أكل حملا وشرب زِقا من الخمر ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريّان دفئان[٤]، هذه أمنية!**

في الواقع ما هي الحياة المثلى التي يدعو إليها العالم الآن؟ مثلا الأم حينما تحمل، هذه الأم عادة بماذا تحلم؟ وما هي أمنيتها لمستقبل طفلها؟ مثلا يولد ذكيا جميلا يلفت الأنظار لكي تستطيع أن تفتخر به وبجماله وبذكائه وبخصائصه الأخرى، ثم بعد ذلك يدخل المدرسة ويكون متفوقا، وهكذا يُربّى الطفل ويُملى عليه بأن هذا هو مسار حياته الأفضل، هذه هي الرغبة والأمنية التي تركز عليها الأم، التنافس للدنيا، بطبيعة الحال إذا كانت الأم مسلمة متدينة لا تُحب أن ولدها يرتكب المحرمات لكن الرغبة نفس الرغبة لا تتغير، إمامة العالم تدعو إلى هذه الرغبة، توجّه وتقود هذه الرغبة، تؤم هذه الرغبة، بغض النظر عن بعض المحرمات وأمثال ذلك، نفس هذه الرغبة التي توجد في ذهن هذه المرأة المتدينة وهي شيعية هذه الرغبة أيضا توجد في قلب المرأة غير الشيعية وفي قلب المرأة غير المسلمة، الرغبة تجري بهذا الاتجاه، العالم الأفضل هو العالم الذي يحقق المشتهيات أكثر

مثال آخر، يُنقل أنه (دخل عمرو بن العاص يوما على معاوية بعدما كبُر ودق ومعه مولاه وردان، فأخذا في الحديث، وليس عندهما غير وردان -وردان هو مولى عمرو بن العاص-، **فقال عمرو: يا أمير المؤمنين ما بقي مما تستلذه؟ فقال: أما النساء فلا أرب لي فيهن وأما الثياب...،** ثم يقول: **فما شيء ألذ عندي من شراب بارد في يوم صائف، ومن أن أنظر إلى بنيَّ وبني بنيَّ يدورون حولي** -هذه رغبته للعالم الذي يرغب فيه وينزع إليه، انتبه أنت إمامي ومع ذلك ترغب كما يرغب ويريد هذا العالم وفي نفس الوقت تصلي! لا تطمح في أكثر من هذه الصلاة!- **فما بقي منك يا عمرو؟ قال: مال أغرسه فأصيب من ثمرته ومن غلته** -هذه كذلك رغبة لأن الناس متفاوتون بطبيعة الحال-، **فالتفت معاوية إلى وردان فقال: ما بقي منك يا وردان؟ قال: صنيعة كريمة سَنية أعلقها في أعناق**

---

[٤] كتاب أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي (١٢٦)

قوم ذوي فضل وأخطار لا يكافئونني بها حتى ألقى الله تعالى وتكون لعقبي في أعقابهم بعدي -هذه أمنية-، هنا قال معاوية: تبا لمجلسنا سائر هذا اليوم، إن هذا العبد غلبني وغلبك)[٥]

أما أمنية النبي نوح (ع): (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)[٦]، هذه أمنية، يتمنى عالما لا يوجد فيه من يُفسد عباد الله ولا يفسد أولاده، الأولاد يولدون على الفطرة، فابنك مؤهل أن يرغب فيما كان يرغب فيه الإمام علي (ع)، يعيش عالمه (ع)، يعيش عالم الإمام القائم (عج)، أن يكون برغبته من حُكام الأرض وسنامها، أن يكون برغبته إماما للمتقين، لكن إمامة هذا العالم هي التي تفسد وتوحي إليه بسلوكيات معينة تشجعه على أن ركز على نفسك وحياتك، صلِّ لكن صلاتك تكون ميتة، بطبيعة الحال لا تقول له بهذا الشكل لكن توجهه إلى صلاة ميتة، توجهه إلى صوم ميت، توجهه إلى استماع الأحاديث لكن استمع وأنت غير مبالٍ، وأنت غير قائم لهذا الحديث وتعيش فقط رغبات هذه الإمامة، وبالتدريج يصبح هكذا

أمنية نوح (ع) إلهي أرغب في عالم لا يوجد فيه هؤلاء الكافرين ولا يفسد فيه الأولاد، هذه رغبته هذه أمنيته وإن لم تكن قابلة للتحقق، لكن في عهد الإمام (عج) سوف تحصل، وكذلك أمنية موسى (ع) (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ)[٧]، هل أنت لك هذه الأمنية؟ خطر ببالك أن هذا العالم كيف يَصلُح؟ وأنت تدّعي بأنك موالٍ للأئمة (ع) الذين جاهدوا ليبينوا لك دعوة تربطك بالأنبياء (ع) وبالإمام القائم، وتجعلك حقيقة تنتظر ظهوره

أيها العزيز نحن مقبلون على هذه المناسبة العظيمة والتي يُحتفى بها، لابد أن نتغير في هذه المناسبة، لابد أن نعاهد الإمام (عج)، نقول: معك معك، أنا لم أكن أعرفك وكنت أتعامل معك من بعيد، قررت أن أكون معك، لبيك لبيك يا إمامي لبيك، حتى إذا لم يكن هذا الدعاء ثابتا لكنه يمثل رغبات المؤمن الإمامي، هذه هي الرغبات التي ينبغي أن تكون في الإنسان المؤمن وإلا لا يكون مؤمنا ولا إماميا، رغبتي يجب أن تكون متبعة لرغبة الإمام، أمري متبع لأمره، همي مع همه، وإلا لا أكون إماميا والعياذ بالله

---

[٥] مروج الذهب (٣/٢٣)

[٦] (نوح: ٢٦-٢٧)

[٧] (يونس: ٨٨)

أقرأ فقرات من دعاء يُقرأ في عصر الغيبة يجسد رغبة المؤمن: (اللّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رسولك، اللّهُمَّ عَرِّفْنِي رسولك فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رسولك لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ... اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُرِينِي وَلِيَّ أَمْرِكَ ظاهِراً نافذَ الأمر -يُفترض أن من يقرأ هذا الدعاء يعرف ما معنى أن الإمام ظاهر أمره؟ وماذا يفعل الإمام وما هي دعوته؟ وما هو العدل[٨] الذي يملأ به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا؟- **...فَافْعَلْ بِي ذلِكَ وَبِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، حَتّى نَنْظُرَ إِلى وَلِيِّ أَمْرِكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وآله ظاهِرَ المَقالَةِ، وَاضِحَ الدَّلالَةِ هادِيا مِنَ الضَّلالَةِ، شافِيا مِنَ الجَهالَةِ، أَبْرِزْ يا رَبِّ مشاهده، وَثَبِّتْ قَواعِدَهُ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ تَقِرُّ عَيْنُهُ بِرُؤْيَتِهِ، وَأَقِمْنا بِخِدْمَتِهِ، وَتَوَفَّنا عَلى مِلَّتِهِ، وَاحْشُرْنا فِي زُمْرَتِهِ، ...اللّهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَهُ وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ، وَانْصُرْ ناصِرِيهِ، وَاخْذُلْ خاذِلِيهِ، ودمدم عَلى مَنْ نَصَبَ لَهُ وَكَذَّبَ بِهِ، وَأَظْهِرْ بِهِ الحَقَّ وَأَمِتْ بِهِ الجور وَاسْتَنْقِذْ بِهِ عِبادَكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الذُّلِّ، وَأَنْعِشْ بِهِ البِلادَ، وَاقْتُلْ بِهِ جَبابِرَةَ الكُفْرِ، ...وَذَلِّلْ بِهِ الجَبَّارِينَ وَالكافِرِينَ... حَتّى لا تَدَعَ مِنْهُمْ دَيّاراً، وَلا تُبْقِيَ لَهُمْ آثاراً، طهّر مِنْهُمْ بِلادَكَ، وَاشْفِ مِنْهُمْ صُدُورَ عِبادِكَ...) الآن الناس يقرؤون هذا الدعاء ويدعون على هؤلاء ولكن في نفس الوقت يسيرون خلفهم! فهؤلاء إذا لم يكونوا موجودين فمن يزيّن الحياة ويطورها؟! العالم أوحى لنا أننا من دون اتباع إمامته لا نستطيع أن نعيش!**

انتبه أيها العزيز نحن مقبلون على هذه المناسبة العظيمة، لابد أن نتغير، ونحن قادرون على التغير، نعاهد الإمام أننا معك معك، اتخذناك إماما وعاهدناك كإمام، (اللّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا، وَغَيْبَةَ إمامنا، وَشِدَّةَ الزَّمانِ عَلَيْنا، وَوُقُوعِ الفِتَنِ بِنا، وَتَظاهُرَ الأعْداءِ عَلَيْنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَقِلَّةَ عَدَدِنا، اللّهُمَّ فَافْرُجْ ذلِكَ عنا بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَنَصْرٍ مِنْكَ تُعِزُّهُ، وَإِمامِ عَدْلٍ تُظْهِرُهُ، إِلهَ الحَقِّ آمِينَ... اللّهُمَّ وَأَحْيِ بِوَلِيِّكَ القُرْآنَ... وَأَحْيِ بِهِ القُلُوبَ المَيِّتَةَ، وَاشْفِ بِهِ الصُّدُورَ الوَغِرَةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الأَهْواءَ الْمُخْتَلِفَةَ عَلى الحَقِّ، ...اللّهُمَّ ولا تَجْعَلْنِي مِنْ خُصَماءِ آل مُحَمَّدٍ عليهم السلام، وَلا تَجْعَلْنِي مِنْ أعْداءِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام...)[٩]

أرجو أن يجعل الله في هذا الحديث الذي أخذت به وقتك الثمين نفعا مرجوا نفعا مطلوبا لا تأثيرا آنيا ينتهي بانتهاء الحديث، هذا أملي هذه أمنيتي هذا رجائي وأرجو ألا يُخيّب الله هذا الأمل، والحمد لله رب العالمين

---

(٨) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت (٦) مذكرات في المهدي** (ع) فصل (**ما هو العدل؟**)

(٩) بحار الأنوار (٨٩/٩٩) نقلا عن مصباح الزائر